دمُون تبكي
امرأ القيس

جنيد محمد الجنيد

دموع تبكي امرأ القيس

شعر

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب – حضرموت ٢٥٩/ ٢٠٢٠م

العنوان: دمُّون تبكي امرأ القيس – شعر .

المؤلف : جنيد محمد الجنيد .

المقاس : ١٢ × ١٩

الإخراج الفني:

حسن أحمد بلجعد

لوحة الغلاف:

بريشة ابنة الشاعر المهندسة المعمارية مريم

التنفيذ الطباعي:

مطبعة وحدين الحديثة للأوفيست – المكلا . ت: ٣١٦٣١٥

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحْفُوظَةٌ لِلمُؤَلِّف

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من المؤلف .

وطن

رايةٌ للجنوبِ علتْ

في سماءِ عدنْ

حولها الشهداءُ

يطوفون في فرحٍ

رافعين وطنْ

* * *

سراب

عندما صدَّقَ (البشرُ الـجُوْفُ) أوهامَهم،

فاستباحوا المدينةَ..

أعطَوا مفاتيحَها الزمنَ النذلَ..

صبُّوا على قلعةِ البحرِ ثأرًا

ومضَوا..

يرقصون على طبلِ رجفتِنا..

يومَها،

خرجَ الشهداءُ

يُصلُّون لامرأةٍ..

لم تجدْ متعةَ العرسِ..

ولم تكتملْ بعدُ في شهرِها العسليِّ..

ولم تستطعْ أن تفرَّ من البيتِ..

لكنها. . .

. . .

. . .

لم تعدْ تقبلُ العيشَ في بيتِ طاعتِهم

* * *

الحصان

الحصانُ الذي كان في باحةِ الدارِ..

دارَ على زمنٍ و مضى

الحصانُ الذي كان يصهلُ بالعشقِ

أثقلَ صهوتَهُ الحزنُ وانكبَّ في صمتِه

الحصانُ الذي كان يرعى على السهلِ

صامَ عن العشبِ..

عن كلِّ ما انبتَتْه البراري

الحصانُ الذي كان يركضُ زهوًا

من البحرِ للبحرِ،

أغفلَه ساحلٌ كان يمشي عليه

الحصانُ الذي كان ينظرُ في الأفقِ

أبعدَ من نجمةٍ

لم تصلْ بعدُ للأرضِ بالضوءِ..

ألقى بأسرارِهِ للسماء

الحصانُ الذي خطَّ حافرُهُ الأرضَ..

فالتأمتْ..

خرَّ منكسرا

الحصانُ الذي ضمَّخَ الصدرَ بالكبرياءِ

توسَّدَ أحزانَهُ

وانزوى

الحصانُ الذي . . .

. . .

. . .

الجنوب

الجنوبُ

اتجاهٌ إلى البحرِ ،

يرسمُ خارطةَ الأرضِ ،

سهمٌ يشيرُ إلى غدِهِ

ودليلُ المسافرِ في التيهِ ،

من عبثِ الريحِ ، من وقعةِ الواقعة

الجنوبُ

طريقُ البهاءِ إلى لحظةٍ

ليس فيها سوى أن نكونَ

ونمضي نشكِّلُ معنى ملامحِنا الساطعة

الجنوبُ

أغانٍ على مرفأٍ للسلامِ

وصوتُ المحبةِ يعلو على كلِّ صوتٍ

وأن التسامحَ وشمٌ بكلِّ القلوبِ

وأن التصالحَ رمزٌ تسامى

بأشجارِهِ الفارعة

الجنوبُ

زمانٌ مضيءٌ تعالى على رايةٍ في جبلْ

ومكانٌ توشَّحَ في أثرٍ

وعليه كتابةُ تاريخِنا من أزلْ

يتوهجُ ملحمةً رائعة

الجنوبُ

سماءٌ مطرزةٌ بجناحِ الحمامِ

تظللُ أفقاً من الحُلمِ يحملُ رجعَ الهديلِ

تلألأَ بالأغنياتِ على الأنجمِ اللامعة

الجنوبُ

بلادُ بخورٍ وفلٍ ونخلٍ

وما تشتهي النفسُ في هذه الأرضِ ..

أرضٌ بها نبضاتُ الهوى نابعة

الجنوبُ

الجنوبُ قضيتُنا الناصعة

الجنوبُ الذي يتدفقُ بالرؤيةِ الواسعة

الجنوبُ هو اللغةُ الحيةُ اليانعة

* * *

لنا أن نحب عدن

حزينٌ هو الوردُ فوق خليجِ عدن

وساحلُ عشاقِنا يتوسدُهُ قلقُ الرملِ،

والأمسياتُ تعيدُ لأيامِنا قبلةً لنساءٍ

تمرغنَ بالفتنةِ العدنيةِ عشقًا..

نعيدُ لأسماءِنا

كلَّ ليلٍ مضى بين تلك الجميلةِ..

ما بين شيءٍ يؤسسُ في القلبِ،

ما يجعلُ الروحَ فينا

على ألفةٍ وهوى

نحن عشاقُ وردٍ،

وعشاقُ رملٍ،

بذرنا عليه مغامرةَ الحبِّ..

هل ننتقي أجملَ القلبِ؟

حتى تعودَ النوارسُ من هجرةِ الصيفِ،

تدفأُ بين طمأنينةِ الوقتِ،

ما بين إقليمِنا الحرِّ..

من يشعلُ الآن أوتارَنا بالغناءِ

لنسمعَ فينا صدى واسعًا عبر ساحاتِنا

والقناةُ التي عبرتْها حناجرُنا

عبَّأتْها الرياحُ البعيدةُ..

هل نطلقُ الآن صيحتَنا ؟

هناك خطوطٌ على الخطِّ..

كيف نحاولُ أن نقفزَ الآن فوق التماسِ

ونشعلَ أشياءَنا

بسواحلَ يتقدُ العمرُ فيها

وتقفزُ أحلامَنا

لغةً تتوهجُ بالموعدِ البضِّ..

هل سبقتْنا النساءُ إليها..

ونحن نطاردهنَّ على المستحيلِ الجميلِ

لنا الآن ما يشبِهُ الحلمَ،

لنا قبلةٌ لنساءٍ،

تمرغنَ بالفتنةِ العدنيةِ عشقًا..

لنا أن نحبَّ عدن..

لنا أن نحبَّ عدن..

لنا أن نحبَّ عدن..

* * *

على باب صنعاء

نجيءُ لصنعاءَ..

نحملُ في سلةِ الحلمِ خمرتَنا،

فتكسرُ جرتَنا،

وتتركُنا ..

سنيناً ونحن على عطشٍ صامتٍ يتشربُّنا..

سنيناً ونحن نحاولُ أن يفتحَ الشعراءُ

إمارتَهم حول هذي المدينةِ..

أن يجدوا منفذًا كي يؤدوا وظيفتَهم..

سنينًا و أسوارُ صنعاءَ مغلقةٌ حولنا

قديماً أتينا إليها ،وقفنا على بابِها،

كلُّ شيءٍ على أمسِها كان ..

هل نستطيعُ لبعضٍ من الوقتِ

أن نقبضَ الخطوَ؟

نستفسرُ الآن عن خطوةٍ تتعثرُ..

نحن وصنعاءُ دربٌ قديمٌ،

ولكنه الآن..

ضعْ نقطةً كي نحددَ أيَّ الذين مضَوا قبلَنا،

أرقَّتْهم حدودُ الذين يجيئون من بعدِنا،

والتواريخُ لم تلغَ بعدُ..

ندورُ على بعضِنا

والنسيجُ تمرَّدَ من مغزلِهْ

سنمسكُ بالخيطِ من أولِهْ

نجيءُ لصنعاءَ..

كان لصنعاءَ مثقالُ عمرٍ من الحبِّ،

تكمنُ في القلبِ بذرتُهُ،

وكانتْ لصنعاءَ وجهتُنا،

ولكنها فاجأتْنا ..

وجدْنا على سورِها

ألفَ رأسٍ معلقةً

والفسادُ تسلقَ أبوابَها..

وجدنا بصنعاءَ..

صنعاءَ لم تتبدلْ..

ولم تتغيرْ..

كما تركتْها الأئمةُ حافيةً عند بابِ اليمنْ

وصنعاءُ فوضى

تعلِّبُ آمالَنا في صفيحٍ قديمٍ

وصنعاءُ عمرٌ

تبعثرَ في أفقِ أجيالَنا القادمة

* * *

دمُّون تبكي امرأ القيس

تطاولَ ليلٌ علينا،

ودمُّونُ تبكي امرأ القيسِ..

تبكي على طللِ الملكِ..

من حضرموتَ ممالكُ أسرجتِ الخيلَ..

مرتْ على الغزواتِ البعيدةِ..

شرقًا وغربًا

وبين غبارِ الحوافرِ تتلو معلقةً

لسماءٍ مغلفةٍ بالحنينِ لقافيةٍ

يشرئبُّ لها الندماءُ

على ليلةٍ ثملةْ..

ودمُّونُ تبكي امرأ القيسِ..

تبكيك ياصاحبي

وتعتصرُ الكأسَ..

لم تبقَ من خمرةِ الغدِ شيئاً

فماذا تعدُّ لها اليومَ..

ماذا من الشعرِ هيأْتُهُ للبناتِ اللواتي

يقفنَ على مدخلِ الحيِّ..

من سوف تلهو بها

وهل شدكَ التوقُ

لابنةِ عمكِ فوق الغديرِ

وهل تتذكرُ ماذا فعلتَ

بفاطمَ حين دخلتَ إلى خدرِها

وماذا تحسستَ في القلبِ

حين تطاولَ ليلٌ عليك؟

فقلتَ:

لدمُّونَ وجهُ هُويَّتِها،

ومشيتَ لتكملَ فينا معلقةً ثانية

وقلتَ:العواطفُ زادٌ لرحلتِنا..

هل قرأتَ القصيدةَ من أولِ البيتِ

حين مشيتَ إلى الرومِ أمسِ بنا

يا امرأَ القيسِ؟

هل جركَ الحلمُ كي تكملَ الشعرَ؟

إنَّ القصيدةَ في مسلخِ الغدرِ منحورةٌ..

والطريقَ لملكِ أبيكَ مدثرةٌ

وانمحى ظلُّها..

فماذا يقولُ رحيلُ يديك إلى الرومِ؟

ماذا تقولُ لقيصرَ..

هل قيصرُ الرومِ لايؤتمنْ؟

وماذا تقولُ لنا؟

فإنَّ القصيدةَ في غربةٍ

ونحن على غربةٍ

وملكُ أبيكَ على غربةٍ

وكلُّ غريبٍ له في الغريبِ نسيبُ

تؤازرُ منفاهُما الحاسةُ السادسة

ودمُّونُ لاتعرفُ الآن من أنقرةْ

سوى ما كتبتَ من الشعرِ..

أنقرة لم تزلْ أنقرةْ

وأنقرة أكلتْ أبجديتَنا..

رمتْنا على سلةِ المهملاتِ

وأنقرة شنتِ الحربَ يومًا علينا

وألقتْ بنا في الغيابِ

ودمُّونُ لم يغشَها الصبحُ بعدُ..

ولم تحلبِ النوقَ بعدُ..

ولم تستظلْ بعدُ بالنخلِ..

ظلتْ مع الوقتِ حاسرةَ الرأسِ..

تستطلعُ الأفقَ..تمتصُّ أيامَها..

تتمرغُ فوق الكثيبِ

وتهذي كلامًا..

وتبحثُ ما بين محتوياتِ القوافي القديمةِ

عن جرسٍ شقَّ صوتًا له في المرايا

التي انعكستْ في السهولِ المحيطةِ

بالشعرِ:

الليلُ فينا تطاولَ دمُّونُ..

دمُّونُ إنا لمعشرُ..أهلُ محبون

هل يصدقُ القولُ حين نشبِّهُ أنفسَنا

بالنجومِ التي تستضيءُ بمعنى الكلامِ

وهل يفرحُ القلبُ بالحلمِ

حين نعبئُهُ في عصورِ الظلام

وماذا من الوردِ يحملُهُ العاشقون

إذا الفاتناتُ يكللهنَّ السوادُ

وماذا لنا؟

وفينا من الليلِ ليلٌ تطاولَ..

فينا بقايا من الشعرِ..

من طللِ الماءِ..

بالقربِ من صخرةِ النبعِ..

عند الطريقِ الذي فرَّقَ الأهلَ

في كلِّ وادٍ

وفينا من الليلِ ليلٌ..

يفيضُ على زفرةِ القهرِ..

والكأسُ فوارةٌ بالجراحِ..

ملونةٌ بالبكاءِ

وأنَّ القصائدَ فاترةُ النبضِ..

دون معلقةٍ تحتوينا

أتذكرُ(ذكرى حبيبٍ بسقطِ اللوى)؟

أتذكرُ ما قلتَ فينا؟

ألا عمْ على زمنٍ نرتجيه قصائدَ..

سلِّمْ على النبعِ..

والزرعِ..

والربعِ..

والأهلِ..

دمُّون تبكي امرأ القيس

والنخلِ..

والخيلِ..

والسهلِ..

اخرجْ لنا شاهرًا شعرَكَ الآنَ..

اقرأْ علينا معلقةً قادمة

* * *

الجريدة

الجريدةُ شمسُ الحقيقةِ،

تبزُغُ في الصبحِ،

ترفعُ عنوانَها:

خبرٌ نابضٌ قلقٌ - مثل عادتِها -

تستريحُ على جدلٍ واسعٍ

في رؤى ثرثراتِ المقاهي ومصطبةِ الأرصفة

يتجاذبُها الناسُ من كلِّ حدبٍ وصوبٍ

يجيئون في لهفةٍ..

يرشفون الكلامَ المهيَّأَ فوق موائدِ صفحتِها

قبل أن يرشفوا شايَهُم

ربما من هنا و هناك

يهبُّ على الروحِ ما ينعشُ البالَ،

ما يتدفقُ من فكرةٍ في المزاج..

الجريدةُ ..

ما يحملُ الآن طقسُ البلادِ

من الغيمِ و الصحوِ،

ما يعقبُ البرقَ والرعدَ،

ما يتشكلُ في هيئةِ الماءِ من شجرٍ باسقٍ..

ما يتراءى لزهرِ السنابلِ

حين يطالعُ قوسَ قزح

الجريدةُ مرآةُ هذي الحياةِ،

بكلِّ ملامحِها

من طفولةِ أبنائِنا عندما يقرأون غداً مطْمَئِنا

إلى ما يجولُ بخاطِرنا في الزمانِ البعيد

الجريدةُ مرآتُنا حيث كنا

وحيث نكون

إذا لم نجدْها يطالعُها القلبُ فوق مدارِ الحنين

الجريدةُ أيامُنا هذه نتداولُها بيننا

الجريدةُ أيامُنا..

كيف نقرؤها الآن؟

. . .

. . .

. . .

إنَّ الجريدةَ مثقوبةٌ بكلامِ الرصاص

❋ ❋ ❋

قبلة للنخلة الملتهبة

ترجلْ ..

فإنَّ الطريقَ يسيرُ بنا في طريقِ النخيلِ

وإنَّ الخيولَ التي أوقدتْنا صهيلا

تمرُّ على صيحةٍ في الزمانِ المضمخِ فينا ..

ترجلْ ..

فإنَّ الأفاعي حواليك تنشرُ حقداً

وإنَّ الغزاةَ يمرون تحت ستارِ الغبارِ المعفرِ من حولنا،

يدوسون أحلامَنا،

يجرفون السنينَ التي تبتني أملَ العمرِ ..

ما ذا نقولُ

إذا الألمُ النازفُ الآنَ

يرسمُ خارطةً لمتاريسِهِ..

على قابِ قوسينِ من سهمِهِ..

وماذا نقولُ

إذا نحن نصحو على لغةٍ تتوهجُ بالفعلِ

عطشى على صبرِها

ولم تحمِها المفرداتُ التي نتباهى بها

أمسِ في دربِنا

ففاضتْ بها لم يعدْ في قواميسِنا ..

هل لنا أن نقولَ لأنفسِنا الآن :

للأرضِ حبٌّ ..

وللبيتِ ربٌّ ..

وإنَّ السماءَ سترمي بسجيلِها

فوق جيشِ ابرهةْ..

ترجلْ ..

لأنَّ الترجلَ وشمٌ بتاريخِنا

ونحن يؤرخُنا عامُ فيلٍ جديد

ترجلْ ..

لأنك نخلتنا في السماءِ التي

حملتْ رايةً من صهيلٍ

ووعدٍ جميلٍ يظللُه ُالنخلُ والنهرُ

في الضفةِ القادمة

وحلمٌ تراءى لنا فوق قوسِ انتصاراتِنا

أكاليلَ زهرٍ تضيءُ البلاد

ترجلْ ..

فإنَّ الحديثَ الذي يتبقى لنا منك

يمكثُ وقتاً ..

لأنك أجملُ من يترجلُ في هذه الأرضِ

أجملُ من يترجل ..

* * *

في ضفاف الأبد

قربَ بيتي

تضيءُ دماءُ الفتى واجهاتِ البيوتِ

وفي الكورنيشِ المواجهِ للبيتِ قناصةٌ

أطلقوا حقدَهم في اتجاهِ الشجرْ

والبشرْ

وعلى الشرفاتِ التي تحتفي بالقمرْ

أطلقوه على كلِّ شيءٍ ..

على أحدٍ كان .. أو لا أحدْ

قربَ بيتي

فتى عنقُهُ ضوءُ ياقوتةٍ

فوق دربٍ تلوَّنَ مما تقطَّرَ منه،

فتى كان أمسِ هنا

يافعاً ، يانعاً ، ساطعاً،

رافعاً رايةً للبلدْ

قربَ بيتي

فتى كان يحلُمُ ،

والأفقُ الرحبُ يملأُ عينيه،

بين يديه النجومُ يرصِّعُها زينةً

للحياةِ على أرضِهِ

غير أنَّ الرصاصةَ أسبقُ من حلمِهِ

فمضى هانئاً

روحُهُ في ضفافِ الأبدْ

تحت وريد السماء

هذه حضرموتُ. وهذا وريدُ السماءِ

تدفقَ في غفلةٍ،

شقَّ أخدودَهُ في الشعابِ

وفاضَ على ألمٍ

شدَّ ضِلعًا من الطينِ،

واستنجدتْ حضرموتُ

إلى حضرموت..

البيوتُ التي من سلالةِ هذا الترابِ

المدثَّرِ بالعبقِ الحضرميِّ

تراءى لها ما تراءى على أرضِها

البيوتُ التي تاجُها قرنُ وعلٍ

تراختْ مفاصلُها. وهوتْ

البيوتُ التي كان يصقلُها الجيرُ،

خفَّ قليلا. قليلا توهُّجُها..

ذبلتْ

البيوتُ التي تتنفسُ صبحًا

برائحةِ الخبزِ حول مواقدِها

تنطوي الآن في جوعِها..

والنخيلُ الذي يتباهى بقامتِهِ

حين يمتدُّ بين السواقي

يجرجرُ أطرافَه

اشتكى وبكى

وتوسدَ جذعًا ونام على صرخةٍ في الهباء

هذه حضرموتُ وهذا وريدُ السماءِ

تدفقَ في غفلةٍ..

من لها حضرموت؟

. . .

. . .

. . .

كان سلطانُها في القديمِ يطوفُ عليها

إذا ما سجا الليلُ،

يوقدُ نارَ العشاءِ لها..

كان سلطانُها . . .

. . .

. . .

لك الله يا حضرموت

❊ ❊ ❊

حداد الناي

على شجرٍ ينوءُ بلا حفيفِ

تعرى الجرحُ في موجِ المصيفِ

تبعثرَ في الشواطئِ وهجُ دربٍ

مساحتُهُ على غزلٍ عنيفِ

قرأنا في الرمالِ عن انكسارٍ

لوجهِ الطيفِ في لغةِ الطيوفِ

تفسِّرُنا الرؤى حالاتِ عشقٍ

بدتْ ما بين أسماءِ الظروفِ

و دارتْ حولَنا الأيامُ جمعًا

فنلقى العمرَ في الحلمِ الشفيفِ

و يصحبُنا على دربٍ جميلٍ

و يعزفُنا على وترٍ رهيفِ

نصدِّقُ لم نصدِّقْ غير حلمٍ

له في القلبِ منزلةُ الأليفِ

إذا مرتْ نسائمُهُ علينا

يدغدغُنا شذا الحبِّ الرفيفِ

يغازلُنا النخيلُ إذا نأيْنا

ويدنينا هوىً عنبُ المضيفِ

صهيلُ خيولِنا فوق المراعي

و خيلُ الحبِّ تبدأُ بالعزيفِ

و دارتْ حولنا الأيامُ ثكلى

مكسرةً على الوجهِ الأسيفِ

و دارتْ قبل أن نشتمَّ فيها

مواعيدَ الهوى الطلقِ العفيفِ

تناستْ لحظةً أحلى و أغلى

بكتْ يدُها على الفرحِ اللهيفِ

تأبَّطَ شرَّه ُفي الأفقِ بومٌ

لينقلبَ الحليفُ على الحليفِ

و تنتزعَ الجذورُ على أساها

كنزعِ الروحِ من عمرٍ وريفِ

تلَوْنا من كتابِ الجرحِ فصلا

وقد غطَّاهُ سيلٌ من نزيفِ

و ظلَّلَ روحَنا ظمأُ المآسي

وماءُ الشربِ في طللِ الوقوفِ

على عطشٍ بَنَوا عرشًا علينا

وكم شفةٍ تتوقُ إلى رغيفِ

أدارُوا لعبةَ الشطرنجِ مكرًا

تئنُّ قلاعُنا تحت القصيفِ

لنا في كلِّ زاويةٍ قتيلٌ

وجرحٌ يصطلي فوق الرصيفِ

بتهلكةٍ حصدْنا الأمسَ فينا

تمرغنا على زمنٍ عجيفِ

خرائبُ كلُّها الأشياءُ فينا

يطوِّقُها أسىً ثقلُ الرسيفِ

تثاقلتِ الخطى حتى تعبْنا

وحاصرتِ المدى ريحُ الخريفِ

نجوعُ فنحتسي ألمَ المراثي

ومعنى الجوعِ في بطنِ الشريفِ

نشمُّ على الموائدِ لونَ ذبحٍ

لتأكلَ جملةٌ بعضَ الحروفِ

وتنكسرُ الأغاني فوق قوسٍ

ويذبلُ طالعُ البرجِ المنيفِ

وتنتحرُ الجهاتُ على جهاتٍ

و يحملُ نعشَها نصفُ النصيفِ

إذا الناعي نعى أرضي لبسنا

حدادَ الناي في وادٍ هفيفِ

و فينا عبرةٌ شُحذتْ بعصفٍ

فهل سألوا عن الرأيِ الحصيفِ؟

* * *

الغراب

غرابٌ على هذه الأرضِ..

ألقى جناحيه ما بيننا

واحتفى بالنعيق

غرابُ تسلَّقَ مبنى من الشعرِ..

أشعلَ قافيةَ الجرحِ

فوق حقولِ القصيدةِ..

كي لا تمرَّ بإيقاعِها صورةٌ للتآلفِ..

تحملُ معنى الهُويَّةِ فينا..

وتحملُ بصمةَ نبرتِنا بالكلامِ المعسلِ بالشعرِ..

أين القصيدةُ ؟

إنَّ القصيدةَ تنتحرُ الآن،

قهرًا، أمامَ الصهاريجِ..

إنَّ الحجارةَ تمضي بعيدا عن البحرِ..

إنَّ الرمالَ تذوبُ بكاءً

على شاطئِ العاطفة

و إنَّ النساءَ تركنَ على الماءِ

آثارَ أحلامِهن ..

مضين إلى نفقٍ لا يفيق

غرابٌ تدلى على أرضِنا

ونحن هنا نتدلى بمعجزةِ الشعرِ..

والشعرُ أحلامُنا..

يشكِّلُنا ، و نشكِّلُه

ويسافرُ فينا إلى ما وراءَ غيومِ اللغاتِ

ونحن على هذه الأرضِ..

نفترشُ الفقرَ و الجوعَ..

يعزفُنا وترُ الرعبِ..

ترقصُ أعمارُنا تعبًا..

نتآكلُ ما بين حربٍ وحربٍ

ولا شيءَ في أفقِنا

غير هذا الغرابِ الذي يحتفي بالنعيق

غرابٌ يظللُ خارطةَ السنةِ الماضية

غرابٌ يظللُ هذي السنة

ولا شيءَ في الأفقِ غير الغراب

* * *

على جبل وقفت

على جبلٍ وقفتُ ،رسمتُ نجماً ،
فشعَّ على البيارقِ في سمائي ..
ومرَّ على يبابِ الأرضِ نهرٌ ،تدفَّقَ ،
يرسمُ الدلتا على الألوانِ وجهاً جميلاً
حاضراً ألِفَتْهُ سيرةُ خطوهِ الأولى..
وكان تموسقُ الأيامِ يحكي
تفاصيلَ الزمانِ وما تلألأَ في المكانِ
على وقعٍ بعيدٍ قادمٍ
في رحلةِ الأبهى سمواً..
هنا جبلٌ
يشعُّ على البيارقِ في سمائي
وكنتُ أرى على الدلتا
مراعي الزهرِ تمزجُ ما ترقرقَ

في جرارِ العشقِ وهجاً
وما سكبتْهُ من عسلِ الأغاني ..
هنا جبلٌ
عليه نقوشُ فاتنةٍ،
تضيءُ اللوحةَ الأحلى
هنا جبلٌ
يشيرُ إلى ملاحمَ من صدى طلقاتِهِ الأولى
هنا جبلٌ
عليه تسابقَ الشهداءُ أفواجاً
وما يبغون إلَّا
أن تطلَّ الأرضُ عرساً
هنا جبلٌ
يشعُّ على البيارقِ في سمائي

مرايا الصيف المدمى

تهبطُ الأرضُ على عشاقِها ثكلى ،

تداري رعبَها

وتعيدُ الآن ما كان

إلى خاصرةِ الشطرينِ ،

كي تقرأَ ما تحملُهُ الرايةُ من جرحٍ

على أحلامِها المنكسرة

ما الذي يبقي من الحلمِ إذا استرسلَ

وجهُ الموتِ في إيقاعِهِ امتدتْ

على خارطةِ الجوعِ البقايا النخرة

ما الذي يعبرُ في التيهِ ،

بلادٌ لا ترى بصمتَها الأولى ،

ولا تعرفُ كيف احتضرَ التوقيعُ

من دهشتِهِ ، واختصرتْهُ المحبرة

ما الذي يخفيه هذا الطرفُ الأولُ للآخرِ،

والأيامُ تجترُّ بقايا الغالبِ المغلوبِ

في الصيفِ المدمى،

هكذا الصورةُ لا تبدو على المرآةِ

إلا عكسَها،

وعلى الطالعِ يبدو الآن

تفسيرُ الوجوهِ المضمرة

* * *

مراثي الثُّمالة

نزيفٌ على جسدِ الفجرِ ..

قلنا: هو الحبرُ رايتُنا،

والنشيدُ سيعلو على السفحِ ..

هل دارُنا تتذكرُ كيف القصائدُ

تنمو على شجرٍ يتعانقُ فينا؟

وهل نتذكرُ ما تفعلُ الريحُ بالغصنِ،

كي تنفثَ الرائحةْ؟

وكنا نرددُ :

سبحانَ من مرجَ الحبَّ في قلبِنا ..

نتموَّجُ في الماءِ ..

ننسلُّ بين الرمالِ ..

ونشعلُ وقعَ الأغاني ..

وندخلُ في الريحِ ..

نصطحبُ الغيمَ ..

والأفقُ يرصدُنا

وكنا نرى في نوافذِها

كلَّ ما ينبتُ القلبُ من خضرةِ العمرِ،

كنَّا نراها مدائنَ محمولةً بحنينِ الممالكِ ..

كانت رياحُ الخيولِ تدقُّ مزاميرَها

حول أسوارِنا

من ترى يصلُ الملكَ ..

تحضنُهُ ضيعةٌ متراميةُ الحلمِ ،

كيف تمرُّ صبايا الأساطيرِ ..

تقرأُ ما يحتوي الكنزُ ..

للملكِ رايتُهُ الرمزُ ..

للعرشِ إيقاعُهُ المتوثبُ فينا ..

لننسجَ من عبقِ الرايتينِ حديثًا

وفصلاً تداخلَ في صفحاتِ الفضاءِ

المرصعِ بالذكرياتِ ..

كأنَّ الذي كان أمسِ نرى

وفينا تنطُّ الكتابةُ عاريةً ،

تستفزُّ الطريقَ الذي تتشاجرُ

حربان من بعدِهِ

وكنا نقولُ :

هو الصفحُ أولى ،

لأنَّ التي حملتْ برجَنا

مزقتْها المراثي طويلا ..

وأنَّ طفولتَنا تستغيثُ بكلِّ الحديثِ

الذي شقَّ هذي القناةَ التي أرَّختْنا ،

فللموجِ فينا حكايتُهُ،

وللأفقِ أن يتنفسَ في كلِّ حيٍّ ،

وآنَ لنا أن نفيقَ لنستمطرَ الزهرَ فينا ..

كأنَّ الذي كان أمسِ نرى..

على البرجِ رايتُنا بعد أن رقصتْ ساعةً

أرهقتْ بالقرارِ المعبأِ بالإرثِ ..

قلنا : سيفرجُ عنا الطريقُ الطويلُ

بما عبأَتْهُ اللغةْ

وقلنا القصيدةَ : يا مطلعَ الفجرِ ..

ماذا جرى للسماواتِ ..

وجهُ الندى شاحبٌ

والصباحُ كفيف

* * *

تقوَّسَ في الأفقِ نبضُ الجذورِ القديمِ

وأعلنَ أنَّ المناخَ توزعَ ما بين منقلبِ الريحِ

بين الشمالِ وبين الجنوبِ

وأنَّ السماءَ تميلُ عن القطبِ ..

أنَّ سيوفَ الكلامِ مرصعةٌ

بمبارزةِ العكسِ ..

تملؤُنا بالضجيجِ على جنباتِ تقلُّبِ مرآتِنا

لتصحو أصابعُنا حين تثقلُ أحمالُها

كي نخطَّ وثيقتَنا فوق قوسِ الندى

وفي العكسِ

أرضٌ ستنشقُّ عنا

وأرضٌ ستبتلعُ الأرضَ منا

وأرضٌ على طرفِ الأرضِ تصرخُ فينا

وفينا نرى طائراً قزحيَّ الهوى

يتدلى على مشنقةْ

ومن حولِهِ يبكي العاشقون

على لغةِ الطيفِ

حين تفسرُ أحلامَها

بالكلامِ المصادرِ ما بين

أعلى وأسفلِ أفعالِ

ضمٍّ وفتحٍ وكسرٍ

ومن لغةِ الطيفِ صغْنا وثيقتَنا

وصغنا النسيجَ الذي سوف

يغزلُ رايتَنا

وصغنا لإبهامِنا صورةً

سوف تأخذُ أبعادَها حين نلتقطُ الأمكنةْ

ويأخذُنا الوقتُ ..

ماذا نرى ؟

غير عبءِ التفاصيلِ في سلَّمِ الحلمِ ..

نستهلكُ الكلماتِ التي تتصيدُنا

في إطارِ الشعارِ المطرزِ بالأبجديَّةِ..

أين المكانُ الذي سوف يحمي تشكُّلَ أحرفِنا ؟

سنمضي بعيداً إلى آخرِ القنواتِ التي

سوف تمنحُنا صكَّ توقيعِنا

سنمضي ونحن نرددُ فينا :

هل الصوتُ أقوى على السمعِ

أم للصدى دورةٌ في مدارٍ

بآخرِهِ حرفُ علةْ

هل اللغةُ الآن مرتْ على كوكبٍ آخرَ

لا يرى الشمسَ إلا كسوفاً

هل الأرضُ هاجرتِ الأرضَ

ألقتْ بأوزارِها

بعد أنْ وزرتْ وزرَ أخرى

هل الأفقُ ليلٌ تمطى لنا ظهرَهُ

فرأينا دموعَ الثريا تطلُّ على حقلِ أحزانِنا

ونمنا بوادٍ شقيِّ المسالكِ ،

تعبرُهُ بين حينٍ وحينٍ مطالعُ نجمٍ

خفيِّ التفاسيرِ ..

نتلو تلاوتَنا بالنشيدِ الذي يتوارى

وراءَ البعيدِ على بصماتِ التواقيعِ :

عهدٌ على العهدِ ..

حربٌ على العهدِ ..

عهدٌ على الحربِ ..

والحبرُ أنقى

ولكنَّها طلقاتُ الدماءِ التي قذفتْنا إلى الهاويةْ

* * *

سماءٌ رصاصيةٌ

والبلادُ أعدَّ لها الجنرالُ الموشَّى

بأوسمةٍ ذرفتْ صداً

في الخطابِ الذي تتعالى بنبرتِهِ ،

ما تناوبَهُ الثأرُ عبر سنينِ التغلغلِ في الجرحِ ..

لم يستطعْ بعدُ، أن يمنعَ السيفَ من جهرِهِ

بالضحيةِ .. فامتشقَ القولَ :

مشنقةٌ وفتاوى

تبيحُ الديارَ

وأهلَ الجنوبِ

ووأدَ براءةِ طفلِ الجنوبِ

وسبيَ نساءِ الجنوبِ

وأشجارَهُ الباسقاتِ

وما يتراءى على الأرضِ .. ما تحتَها ..

دقَّ أسفينَهُ فوق خاصرةِ النارِ ،

كي تتأججَ بالذكرياتِ تفاصيلُ حاضرِنا ..

ولنا ما تلبَّدَ بين الزوايا ،

فلم يستقمْ ظلُّنا ،حين مرَّ علينا الشعاعُ الذي

ظلَّ حلمًا يدغدغُ أعمارَنا ،

فقرأنا على مدنِ البحرِ أوجاعَنا

ورسمنا السماءَ بما مرَّ فيها ..

سماءٌ رصاصيةٌ

والبلادُ مطوقةٌ بالعطشْ

وأنَّ المياهَ بأنبوبِها جافةٌ ،

والجرارَ معبأةٌ بالسرابِ

وأنَّ الحناجرَ تلهثُ في سعيِها ،

وعلى البئرِ جئنا قوافلَ

علَّ الزمانَ القديمَ يعيدُ لنا دلوَ آبائِنا

هل وصلنا إلى القاعِ

وانبجسَ الماءُ بين الأصابعِ

كي تتشربَ أجسادُنا

هل تدلى هنا أحدٌ ظامئٌ قبلُ ،

حتى يدلَّ علينا السقاةَ بما عثروا

من ندى في التراب ،

يبللُ ما جفَّ من ريقِنا ..

سماءٌ رصاصيةٌ

والدماءُ تسيلُ على رجفاتِ النجومِ

فمن يضبطُ الأفقَ ،

كي نحسبَ الوقتَ من حولِنا

بسقوطِ القذائفِ ..

هل كان ميقاتُنا عبثًا،

حين دارتْ عقاربُ ساعتِهِ في الشظيةِ ..

كم بلغَ القتلُ حداً ،تجاوزَ ما يتهيأُ للنعشِ

في لحظاتٍ ،لينتشلَ الميْتُ جثتَهُ

بعد ما انصهرتْ بالحديدِ ..

سماءٌ رصاصيةٌ

والأماكنُ تفتحُ موقعَها

في تراجيديا العملِ العسكريِّ :

لمصفاةٍ نفطٍ مقايضةٌ بالحرائقِ

كي لا تمرَّ بها الشاحناتُ ..

لطائرةٍ درَّبتْ نفسَها ليكونَ الضحيةَ

برجُ المطارِ ولكنها وقعتْ في شركِ المدرجِ العام

تجمعُ أشلاءَها ..

لدبابةٍ أن تحاصرَ من يقبعون بداخلِها

بالمفاتيحِ كي لا يفروا خفافًا من اليأسِ أو رعبِهم ..

للبيوتِ التي في نوافذِها المشرئبةِ عشقاً،

محاولةً للنجاةِ بأن تتهادى كقوسٍ رفيعٍ على قصفِها..

للصواريخِ أن تتقاذفَ بين الجهاتِ ،

وتذبحَ ماشيةً جمةً ،

لتغطي الفروقَ بما حصدتْ من بشر ..

سماءٌ رصاصيةٌ

وجحيمٌ .. جحيمٌ ..

إلهي .. إلهي ..

أما آنَ أنْ تتبدلَ هذي السماءُ

* * *

تأبَّطَ جرحٌ خطاهُ على معصمٍ للزفافِ

وفاكهةُ العرسِ لم تبتهجْ بعدُ،

حتى نعيدَ لمائدةِ القلبِ تشكيلَها

وتحكي النقوشُ على خاتمٍ ما تخفى

من الليلِ خلفَ النقابِ ،

وينكشفُ السرُّ ..

تروي العيونُ التي أخفقتْ كي تقولَ

ملامحَها في مرايا يكسِّرُها الظلُّ ..

لليلِ ليلٌ يمرُّ بسردابِهِ الخاصِ ،

كي لا نحسَّ بما طافَ في السنواتِ العجافِ ،

ولليلِ ليلٌ يمرُّ عليه

إلى أنْ تفيقَ الحقيقةُ في جسدٍ

يتململُ في الأقنعةْ

ولليلِ أنْ يتسترَ عما يراهُ

وأن يتناولَ شيئًا

ويدخلَ في أرقِ التخمةِ الفاسدةْ

ولليلِ موعدُهُ من غروبِ العصافيرِ

حتى نراها تزقزقُ ما بين أحلامِنا في المنامِ

وغربتِنا التائهةْ

نقولُ : بأَنَّا كتبنا عن الغصنِ

كيف يكونُ إذا ما تعرى من الورقِ الخضرِ..

نعرفُ ما نسجَ الأولون

عن الماءِ والنارِ ..

ما يجعلُ الصيفَ يركضُ في رحلةِ القنصِ

قبلَ فواتِ الغنيمةِ ..

ما يتمدَّدُ في شهوةِ (الفيدِ)..

حيثُ البلادُ توارتْ وراءِ السوادِ

ولم يبقَ منها سوى رايةٍ

نسجتْها قصائدُنا بدموعِ الحدادِ

هنا الأرضُ غائبةٌ ،

ربما دخلتْ في مواسمِ قحطِ الفراغِ السياسيِّ ..

كي تتذكرَ دورتَها ،

وتفيقَ على خيمةٍ تجمعُ الشملَ، بعدَ عناءٍ طويلٍ لنا :

- الانفصال يوحِّدُنا مثلما لم نكنْ قبلُ ..

- تعني انفصالاً عن الوطنِ الأرضِ ..

- قلت: انفصالٌ عن الانفصالِ ..

و للضدِّ معنى تراكمَ في سلطةِ الضدِّ ..

كيف نفسرُ ما كان .. ما حولَنا ..

كيف يجرؤُ من يتمنطقُ بالخنجرِ الخصرُ ،

أن يتآلفَ يومًا مع الماءَ ..

كيف نفسرُ أن يحتمي الشجرُ البضُّ

بالنبضاتِ التي يتكسرُ إيقاعُها

وكيف نشدُّ على وتدِ المأزقِ الصعبِ ..

كيف بخيمتِنا أن نلمَّ الشتات

* * *

محاصرةٌ في العراءِ ثمالةُ أحلامِنا ،

قصصنا عليها من النخبِ

ما يروى الروحَ فينا ،

نطلُّ على امرأةٍ في يديها كلامٌ

يدلُّ على سفنٍ متوقدةِ البوقِ ،

والبحرُ نامَ على عطشٍ

وأفاقَ على أفقٍ من دمٍ

يتخثرُ في اليابسةْ ..

وبين السماءِ رأينا بروجًا مشيدةً

من نزيفِ يدينا

وفينا شراعٌ تلاطمَ والموجَ ..

من سافرَ الآن في عتمةِ الليلِ ،

يبحثُ عن مخدعٍ لتغازلَهُ رقصةُ الذبحِ ..

تحملُهُ مديةٌ متعفنةُ الغمدِ ..

توقظُهُ فتنةٌ متفرعةُ النابِ ..

تطلقُهُ آفةٌ متحفزةُ الرأسِ ..

تقضمُ ما يتبقى على الأرضِ

كي نتآكلَ ما بيننا

سنشهدُ أنَّ جماجَمنا نخرتْها

مداراتُ مدٍّ وجزرٍ

إلى أنْ رأينا سيولَ الدماءِ تغطي ملامحَنا

ومدائحَ أنخابِنا تتجرعُ فينا الثمالةَ ..

هل هبَّتِ الريحُ من قبلُ ،

حتى تصيرَ البلادُ على مشجبِ العاصفةْ

بلادٌ على خوذةِ العسكريِّ

مهيأةٌ كي تكونَ رمادًا

ومنفضةً من رصاصٍ

بلادٌ تحشرجتِ الروحُ فيها

وتصرخُ قبلَ فواتِ الأوانِ

بلادٌ تطلُّ على الجرحِ من قبلِ ميلادِها

بلادٌ موزَّعةُ النعشِ ..

فوق الجرائدِ .. في قنواتِ الفضاءِ ..

وفي طاولاتِ الحديثِ البعيدِ ..

بلادٌ تموتُ ..

وحين تموتُ نسمي بأسمائِها الشهداءَ

بلادٌ على قلقٍ في مهبِّ الرثاء .

المحتويات

- وطـــن ٥
- ســـــراب ٩
- الحصـــان ١٣
- الجنـــوب ١٧
- لنا أن نحب عـدن ٢٣
- على باب صـنعاء ٢٩
- دمُّون تبكي امـرأ القـيس ٣٥
- الجريدة ٤٧
- قبلة للنخلـة الملتهبـة ٥٣
- في ضـفاف الأبـد ٥٩
- تحت وريد السـماء ٦٣
- حداد النـاي ٦٩
- الغـراب ٧٧
- على جبل وقفـت ٨٣
- مرايا الصـيف المـدمى ٨٧
- مراثي الثُمالة ٩١